الثقافة للجماهير

خطر السقوط

من محاضرات الاستاذ الشيخ حسن الصفار

٢

خطر السقوط

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الاولى

١٤٠١هـ - ١٩٨١م

بسم الله الرحمن الرحيم

(الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ
وَيَخْشَوْنَهُ
وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ۗ
وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا)

صدق الله العلي العظيم
سورة الاحزاب - ٣٩ -

الثقافة للجماهير

سلسلة محاضرات القاها المؤلف ولأهميتها قام بعض الشباب المؤمنين بكتابتها ولما تحتويه هذه المحاضرات من فكر اسلامي أصيل وثقافة رسالية نقدمها لجماهير الأمة على حلقات ..... والله ولي التوفيق .

الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين وصحبه المخلصين

لماذا نردد في صلاتنا مرارا كل يوم ((اهدنا الصراط المستقيم)) ؟ . أو لسنا الان باعتبارنا مسلمين مؤمنين نسلك الصراط المستقيم (؟؟؟) هل نشك في الخط الذى نسير عليه ونحتمل في انفسنا الضلال (؟؟؟) أم ماذا (؟؟؟) .

في الواقع : ان الصراط المستقيم ليس طريقا يبحث عنه الانسان عند مفترق طرق فاذا ما اهتدى اليه سلكه واستمر في السير عليه مرة واحدة الى الاخير ...

بل ان الانسان في كل لحظه وامام اي موقف أو قضية أو كلمة يجد امامه طرقا كثيرة وخيارات عدة احدها يمثل الصراط المستقيم بينما البقية طرق ملتوية معوجه ...

وفي كل لحظة يتعرض الانسان لخطر الانحراف والتنكب عن الصراط المستقيم للذى يسير عليه ولذلك يردد دائما :((اهدنا الصراط المستقيم ...)) . فالمطلوب ليس مجرد اكتشاف الخط الصحيح في الحياة والبدء بالسير عليه بل المطلوب هو استقامة السير والاستمرار فيه .

ان الله تعالى يلفتنا ان نطلب منه الوقاية والسلامة من الزيغ والضلال بعد الهداية والصلاح فيعلمنا ان نقول :((ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب)) (١)

وفي مورد آخر يذكرنا البارى جل وعلا بقصة ذلك العالم الاسرائيلي الكبير بلعم بن باعوراء كنموذج سيء للسقوط في اوحال الكفر والضلال بعد ان كان متسنما لذروة الهداية والصلاح يقول عنه تعالى :

((واتل عليهم نبأ الذى اتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين

---

(١) العمران (٨)

ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون)) (٢)

وابليس ألم يكن عابدا لله خاضعا حتى رفعه الله الى درجة الملائكة مع انه من الجن كما يقول تعالى ((ان ابليس كان من الجن)) ولكنه في لحظة انحراف واحدة اصبح رمز الشقاء والضلال الى يوم القيامة .

وتحدثنا الروايات عن بعض النماذج التاريخية التي اصابها السقوط والانحراف بعد ان قطعت شوطا طويلا من السير على خط الهداية والصلاح ،فمثلا ((برصيصا)) ذلك العابد الزاهد الذى كان قدوة في الخشوع والخضوع لاحد مجتمعات بني اسرائيل ولفضله ومكانته عند الله كان مستجاب الدعاء يؤتي بالمجانين والمرضى فيدعو لهم ويعوذهم فيطيبون على يديه .

وذات مرة جئ له بامرأة جميلة ذات شرف قد اصابها الجنون وتركها اخوتها في صومعته ليشفيها الله ببركة انفاسه ودعائه...

---

(٢) الاعراف ١٧٥ - ١٧٦

وفي لحظة سيئة واذا بذلك العابد الزاهد يمارس الجريمة مع تلك المريضة المجنونة ...!!!

وانتبه على نفسه بعد الجريمة فلعل المرأة قد حملت منه ...!!!

يا للفضيحة والعار ....

وهنا قرر ان يقتلها ويدفنها في الصحراء ليتخلص من الفضيحة ...!!!

ولكنها فضيحة مكشوفة وجريمة ثابته لا يمكن التنصل منها فقد اضطر للأعتراف بذلك امام السلطة وحكم عليه بالاعدام مصلوبا بعد ادانته بجريمتين الزنا والقتل...)

فأتى اليه الشيطان وهو مصلوب على الخشبة ينتظر لحظة الموت ليستريح من حياة الخزى والعار فوسوس اليه الشيطان قائلا: انا الذى القيتك في هذا فاسجد لي سجدة واحدة حتى أخلصك ...

قال العابد (المجرم الشقي) مستجيبا لطلب الشيطان كيف اسجد لك وانا على هذه الحالة ؟

فاجابه الشيطان اكتفي منك بالايماء .

فاومأ بالسجود للشيطان .... وبعدها مباشرة

لفظ آخر نفس من انفاسه حياته .... (٣)

لقد انتهت حياته وبداه ملطختان بابشع الجرائم فقد مارس جريمة الزنا ثم قام بجريمة القتل ثم كفر بالله وسجد للشيطان ... بعد ان كان عابدا مستجاب الدعوة عند الله ...

هكذا يكون الانسان مهما كانت درجة ايمانه معرضا لخطر السقوط والانحراف في كل لحظة من لحظات حياته يقول الرسول الاعظم (ص) (لا يزال المؤمن خائفا من سوء العاقبة لا يتيقن الوصول الى رضوان الله حتى يكون وقت نزع روحه) (٤) .

بل ان هناك نصوصا واحاديث تشير الى ان المؤمن ليس معرضا لخطر الضلال والانحراف كسائر الناس بل ان وضعه اخطر وتعرضه لمحاولات الانحراف والضلال اكثر من الاخرين ....

يقول امامنا جعفر الصادق(ع) في اولوصيته لعبدالله بن جندب: (ياعبدالله لقد نصب ابليس حبائله في دار الغرور فما يقصد فيها الا

(٣) سفينة البحار ج١ ص ٧١

(٤) المصدر ج٢ ص ٢٠٩

اولياءنا) (٥)

وفي حديث آخر قال(ع) :(ان الشيطان ليأتي الرجل من اوليائنا عند موته يأتيه عن يمينه وعن يساره ليصده عما هو عليه ...) (٦)

ومرة سئل احد الائمة (ع) من قبل احد تلامذته المجاهدين : قال:يابن رسول الله اتخاف علينا من الشيطان ؟

فاجابه الامام: وهل الخوف من الشيطان الا عليكم اما غيركم فقد خلص منهم...

---

(٥) هدى وبصائر للمؤلف

(٦) سفينة البحار ج١ ص ٦٩٩

من اين يأتي الخطر

ولكن لماذا يصبح احتمال الانحراف واردا في حياة الانسان المؤمن ؟

يبدو ان هناك اسبابا عدة وراء ذلك وخاصة بالنسبة لنا كمؤمنين نعيش في هذا العصر :

فأولاً: رواسب التربية والبيئة .

فاباؤنا وعوائلنا وبيئتنا التي نشأنا فيها لم تكن في المستوى المطلوب من الوعي والالتـــزام بالقيم الاسلامية الصحيحة ...ان اغلب العوائـــل في مجتمعاتنا لا تعرف شيئا عن اساليب التربيـــة السليمة ولا عن مناهج الاسلام في التربية وتوجيـه الاولاد ...وان الثقافة التي يحملها اهالينا والتي يغرسونها في اذهاننا ليست نقية وصافية انها مشوبة بالاوهام والخرافات والتزييـــف .....وان الاخلاق وطريقة التعامل التي ننشأ في ظلها ليست

وفق ما يريد الاسلام مائة في المائة بل هي مليئة بالاخطاء والانحرافات .....

وحينما يتربى الانسان في مثل هذه الاوضاع والظروف فانه حتى وان توفق لاصلاح نفسه واهتدى الى الصراط المستقيم في حياته فان رواسب تلك التربية والبيئة قد يبقى بعضها في نفسه ليقذف به في مهاوى الانحراف والضلال ...

ثانياً: تأثير الاجواء الفاسدة.

تعالوا لننظر في اية اجواء نحن نعيش ؟ ومن اى هواء نتنفس ؟ اننا نعيش اجواء يسيطر عليها الطاغوت سيطرة تامة كاملة ... فالحكومات التي تحكمنا ونخضع لها حكومات ظالمة طاغية ... والمدارس التي نتخرج منها مناهجها فاسدة .... وخاطئة ...

والاعلام الذى نستمعه ونراه من خلال الصحف والمجلات ومحطات الراديو والتلفزيون اعلام مضلل، والثقافة المتوفرة ثقافة قشرية ومنحرفة ... والقيم السائدة قيم جاهلية ومصلحية ..... والمجتمع الذى نعيش ضمنه مجتمع متخلف .....

ان هذا الفساد الذى يغطى اجواءنا ويلف حياتنا قد يترك بعض آثاره على أفكارنا وممارساتنا شعرنا بذلك او لم نشعر ...

ثالثاً: ضغوط الالتزام

ففي هذا العصر المادى وفي مثل هذه الاجواء الفاسدة التي نعيش، يصبح الالتزام بالمبادئ والقيم مصدر مصاعب ومتاعب وضغوط قاسية في حياة الانسان المؤمن ....

وقد صدق رسولنا العظيم (ص) وهو الصادق الامين حينما قال : (يأتي على الناس زمان يكون القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر)

هذه الضغوط التي يعانيها الانسان المؤمن من قبل سلطات الطاغوت او قطاعات المجتمع المتخلف وحتى من قبل اهله وعائلته ...ولتحديه الاجواء الفاسدة ومواجهته للواقع السيء ... كل تلك الضغوط تسبب له مضايقة نفسية قد تؤدى الى بعض التراجع والانهزام او سوء الخلق وتعقد النفس ..

رابعاً واخيراً: دور الشيطان

ان وجود المؤمن في هذا العصر يشكل تحديا صارخا وكبيرا للشيطان فكيف اذا ما كان ذلك المؤمن رساليا يعمل على هداية الآخرين ، ونسف خطط الشيطان ، وتخريب الاجواء عليه ؟

ان المؤمن الرسالي هو أخطر جبهة يعمل الشيطان على مقاومتها ويوجه جهوده نحوها وأقل غفلة تمر على المؤمن الرسالي فان الشيطان مستعد لاغتنامها حيث يبدأ بالتسرب داخل حياته ولو من ثغرة بسيطة ، وعبر ذنب صغير .

لذا جاء في الحديث الشريف ((فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد)) والسبب واضح فألف عابد ليست لهم فطنة وفقه في دينهم لايجد الشيطان عناءا كبيرافي اضلالهم والانحراف بهم ومن ناحية أخرى فهم يشكلون خطرا محدودا لايتعدى انفسهم لان امتدادهم وتأثيرهم على الاخرين ليس واردا .. اما مؤمن واحد يفقه دينه ويعيه بمختلف ابعاده فان اضلاله مهمة شاقة وصعبة على الشيطان هذا اولا وثانيا فانه

جبهة قابلة للتوسع والامتداد بواسطة تأثيره واستقطابه للآخرين ..

من هنا يصب الشيطان كل جهوده واهتمامه على هذه الجبهة الخطيرة وهي : المؤمن الرسالي ..

وقد جاءت النصوص الدينية عن انبياء الله وائمة الهدى تحذرنا من الغفلة وتؤكد علينا ضرورة استمرار التنبه واليقظة ..

قال امير المؤمنين (عليه السلام) :

((ومن غفل غرته الاماني واخذته الحسرة))(١)

وعن الامام الصادق ((عليه السلام)) :

((ان كان الشيطان عدوا فالغفلة لماذا ؟))

احذروا مؤامرات الشيطان

وثمة ملاحظة اخرى مهمة جدا في هذا المجال :

حينما يعمل الشيطان على اضلال المؤمن والانحراف به عن جادة الصراط المستقيم فانه قد لايأتيه من قبل الذنوب الواضحة والمعاصي المكشوفة فيحاول مثلا ان يقنعه بشرب الخمر او باللواط او ترك الصلاة .. انها حينئذ محاولة مفضوحة ومحكوم

(١) المصدر ج٢ ص ٣٢٣

عليها بالفشل بالنسبة لمؤمن ملتزم .. فلا بد من اختيار الخطة المناسبة التي يمكن ان تنطلي على المؤمن في لحظة غفلة او سهو يقول امير المؤمنين (عليه السلام)في وصيته لكميل بن زياد " ان للشيطان خدعا .. على كل احد قدر منزلته في الطاعة والمعصية فبحسب ذلك يستولون عليه بالغلبة "

فعن اي طريق اذن يجيء الشيطان ؟؟

انه يأتي للانسان المؤمن عن طريق دينه ،فيحيك له مؤامرة يضفي عليها طابع الدين ،وينصب له فخا عليه مظاهر الطاعة والعبادة وحينما يغيب عن المؤمن وعيه وانتباهه وتيقظه في احدى اللحظات فانه يقع في فخ الشيطان ويتورط في مصيدته !!

وهذا هو ما حذر منه القران الحكيم بقوله " ولاتلبسوا الحق بالباطل " ويقول امير المؤمنين (عليه السلام) : (فلو ان الباطل خلص من مزاج الحق لم يخف على المرتادين ولو ان الحق خلص من لبس الباطل انقطعت عنه السن المعاندين ،ولكي يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فهنالك يستولي الشيطان على

اوليائه وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى) [٨] ومن هذا القبيل ما يصنعه الشيطان في نفوس بعض المؤمنين من تضخيم بعض قضايا الدين على حساب سائر القضايا الدينية .

فباسم العبادة والاقبال على الصلاة والدعاء يهمل الجهاد في سبيل الله ! وتحت عنوان لزوم "التقية" و وجوبها يعيش المؤمن الخضوع والاستسلام للطغيان والباطل ....

وبحجة اتباع وتقليد احد الفقهاء والمجتهدين المتوانين عن الثورة والجهاد يترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل على مقاومة الظلم والفساد .....

وبمبرر التفرغ لاصلاح الذات وبنائها يكون التهرب من النشاط والعمل في سبيل الله ...

ان امثال هذه الموارد غالبا ماتكون مصائد واحابيل للشيطان تنطلي على بعض المؤمنين في لحظات الغفلة وعدم الانتباه ...

وعلينا ان نتذكر احداث التاريخ لنستفيد منها دروسا تجعلنا قادرين على فضح مؤمرات الشيطان .... فالذين اعتزلوا القتال مع امير

---

(٨) نهج البلاغة رقم ٥٠

المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) ضد معاوية كانت لهم امثال هذه التبريرات ... حيث قالو: انها فتنة وتورط في سفك دماء المسلمين لا نلطخ ايدينا بها ....

والذين قعدوا عن نصرة الامام الحسين وسكتوا على حكم يزيد كانوا يقولون : مالنا والدخول بين السلاطين او من لا تقية له لا دين له .

ضمانات الاستقامة

والآن : ماهي الضمانات التي يلجأ اليها الانسان المؤمن لمواجهة اخطار الانحراف والضلال؟؟؟

والجواب : انها المزيد من الوعي واليقظة ومجاهدة النفس ... ولكي يتوفق الانسان لذلك لا افضل من التتلمذ على توجيهات ووصايا ائمة الهدى وجدّهم الرسول الاعظم (ص) ...

تلك التوجيهات التي تنفذ الى اعماق نفس الانسان لتسلط له الضوء على الرواسب المتبقية في نفسه من التربية الخاطئة والبيئة الفاسدة ....

والوصايا التي تعطي الانسان الثقة بنفسه وترفع معنوياته وتجعله في مستوى التحدى ومواجهة كل دنيا الفساد واجواء عالم الانحراف ...

انها تكشف للانسان عن حقائق الكون والحياة وتجعله ينظر الى ما حوله ببصيرة نافذة وعميقة.

وتمنح هذه الوصايا الرائعة للانسان قدرة نفسية كبيرة على تجاوز كل الضغوط ومواجهة

جميع الازمات والمصاعب التي تعترض طريق المؤمن الملتزم بصدر رحب ونفس مطمئنة راضية مرضية ...

واخيرا فان هذه التوجيهات العظيمة تفضح امام الانسان كل مخططات الشيطان ومؤامراته وتجعل الانسان يقظا واعيا مستقيما على الصراط المستقيم ...

انها وصايا عظيمة رائعة لا تقدر بثمن ....

يقدمها للبشرية ائمة عرفوا الحياة معرفة حقيقية كاملة ... وشقوا امام الانسان طريق الاستقامة والنجاح ... وضربوا اروع المثل في الثبات على الطريق المستقيم رغم كل المصاعب والتحديات....

انها وصايا صادقة مخلصة صدرت عن ائمة صادقين مخلصين ...خرجت من اعماق قلوبهم لتستقر في اعماق قلب كل صادق مخلص ...

فما احوج كل مؤمن للتتلمذ على هذه الوصايا لتصبح المنظار الذى يرى من خلاله الحياة واحداثها .... ولتكون هدى يضئ له طريق الاستقامة والنجاح ...

ولنتأمل الآن بعض النماذج من تلك الوصايا الرائعة العظيمة :

من وصايا الرسول الاعظم(ص) :

جاء في وصيته العظيمة الشاملة لأبـــــي ذر الغفارى (رض) :

يا ابا ذر : احفظ ما اوصيك به تكن سعيـــدا في الدنيا والاخرة .

يا ابا ذر : اغتنم خمسا قبل خمس : شبابـــك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك ،وغناك قبل فقـــــرك وفراغك قبل شغلك ،وحياتك قبل موتك .

يا أبـا ذر : اياك والتسويف باملك ،فانـــك بيومك ولست بما بعده ،فان يك غدلك فكن فـــي الغد كما كنت في اليوم ،وان لم يكن غد لك لـم تندم على ما فرطت في اليوم .

يا ابا ذر : كم من مستقبل يوما لا يستكملـه ومنتظر غدا لا يبلغه .

يا ابا ذر : كن على عمرك اشح منك علـــــى همك ودينارك .

يا ابا ذر : من ابتغى العلم ليخدع بـــــه الناس ،لم يجد ريح الجنة .

يا ابا ذر : يطلع قوم من اهل الجنة علـــى قوم من اهل النار فيقولون : ما ادخلكم النار؟ وقد دخلنا الجنة بتاديبكم وتعليمكم !!.فيقولون

انا كنا نأمر بالخير ولا نفعله .

يا ابا ذر : المتقون سادة ، والفقهاء قادة ،ومجالستهم الزيادة ،ان المؤمن ليرى ذنبه كأنه صخرة يخاف ان تقع عليه ،وان الكافر يرى ذنبه كأنه ذباب مر على انفه .

يا ابا ذر : ان الله تبارك وتعالى اذا اراد بعبد خيرا جعل ذنوبه بين عينيه ممثلة ، والاثم عليه ثقيلا وبيلا ،واذا اراد بعبد شرا انساه ذنوبه .

يا ابا ذر : لاتنظر الى صغر الخطيئة ،ولكن انظر الى من عصيته . (١)

من وصايا امير المؤمنين (ع) :

في وصية شاملة عهدبها الامام امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (ع) لكميل بن زياد (رضي) جاءت النقاط التالية :

ياكميل : ان رسول الله (ص) أدبه الله وهو (ص) ادبني وانا اؤدب المؤمنين .

(١) مع الرسول الاعظم في حكمه ووصاياه .

ياكميل : مامن حركة الا وانت محتاج فيها الى معرفة .

ياكميل : لا تردن سائلا ولو من شطر حبة عنب او شق تمرة ،فان الصدقة تنمو عند الله .

ياكميل : لا بأس بان لا يعلم سرك .

ياكميل : المؤمن مرآة المؤمن لانه يتأمله ويسد فاقته ويجمل حالته .

ياكميل : اذا وسوس الشيطان في صدرك ،فقل اعوذ بالله القوي من الشيطان الغوي ،واعوذ بمحمد الرضي من شر ما قدر وقضي ،واعوذ بآله الناس من شر الجنة والناس ،تكفى مؤنة ابليس والشياطين معه ،ولو انهم كلهم ابالسة مثله .

ياكميل : ان لهم (الشياطين) خدعا وشقائق وزخارف ووساوس وخيلاء على كل احد قدر منزلته في الطاعة والمعصية ، فبحسب ذلك يستولون عليه بالغلبة .

ياكميل : لا عدو اعدى منهم ،ولا ضار اضر بك منهم ،امنيتهم ان تكون معهم غدا اذا جثوا في العذاب .

يا كميل : ان الارض مملوءة من فخاخهم فلن ينجو منها الا من تشبث بنا .

ياكميل : ليس الشأن ان تصلي وتصوم وتتصدق

الشأن ان تكون الصلاة بقلب نقي ،وعمل عند الله مرضي ،وخشوع سوي ،وابقاء للجد فيها . (١)

من وصايا الامام الحسن بن علي (ع):

قال له جنادة بن ابي امية في مرضه الذي توفي فيه : عظني يا ابن رسول الله .

قال : نعم .

استعد لسفرك ،وحصل زادك قبل حلول اجلك ،واعلم انك تطلب الدنيا والموت يطلبك ،ولاتحمل هم يومك الذي لم يأت على يومك الذي انت فيه .

واعلم : ان الدنيا في حلالها حساب وفي حرامها عقاب ،وفي الشبهات عتاب ،فانزل الدنيا بمنزلة الميته خذ منها ما يكفيك فان كان حلالا كنت قد زهدت فيه ،وان كان حراما لم يكن فيه وزر فاخذت منه كما اخذت من الميته ،وان كان العتاب فالعتاب يسير .

واعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا ،واعمل لاخرتك كأنك تموت غدا .

واذا اردت عزا بلا عشيرة ،وهيبة بلا سلطان

---

(١) نهج السعادة الجزء (٨)

فاخرج من ذل معصية الله الى عز طاعة الله عز وجل . (١)

من وصايا الامام محمد الباقر(ع):

من وصية له (عليه السلام) لاحد تلامذته الخواص جابر بن يزيد الجعفي (رضي الله عنه) قال فيها :-

اوصيك بخمس : ان ظلمت فلا تظلم ،وان خانوك فلا تخن ،وان كذبت فلا تغضب ،وان مدحت فلا تفرح وان ذممت فلا تجزع ،وفكر فيما قيل فيك، فان عرفت في نفسك ما قيل فيك، فسقوطك من عين الله جل وعز عند غضبك من الحق اعظم عليك مصيبة مما خفت من سقوطك من اعين الناس ،وان كنت على خلاف ما قيل فيك ،فثواب اكتسبته من غير ان يتعب بدنك .

واعلم بأنك لاتكون لنا وليا حتى لو اجتمع عليك اهل مصرك وقالوا : انك رجل سوء لم يحزنك ذلك ،ولوقالوا : انك رجل صالح لم يسرك ذلك ،ولكن أعرض نفسك على كتاب الله ،فان كنت سالكا سبيله ،،زاهدا في تزهيده ،راغبا

(١) في رحاب ائمة اهل البيت ج٣

في ترغيبه ،خائفا من تخويفه ،فاثبت وابشر، فانه لايضرك ماقيل فيك . وان كنت مبائنا للقرآن فماذا الذي يغرك من نفسك ..

ان المؤمن معني بمجاهدة نفسه ليغلبها على هواها ،فمرة يقيم اودها (عوجها) ويخالف هواها في محبة الله ،ومرة تصرعه نفسه فيتبع هواها ،فينعشه الله فينتعش ،ويقيل الله عثرته ،فيتذكر ويفزع الى التوبة ،والمخافة ،فيزداد بصيرة ومعرفة لما زيد فيه من الخوف ،وذلك بان الله يقول : ((ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون)) (١)

من وصايا الامام جعفر الصادق (ع):

قضايا مهمة وحقائق خطيرة يطرحها الامام الصادق ((عليه السلام)) وفي وصيته لاحد خواص اصحابه ((عبد الله بن جندب البجلي الكوفي)) نقتطف منها المقاطع التالية :

ياعبد الله : لقد نصب ابليس حبائله في دار الغرور فما يقصد فيها الا اولياءنا ،ولقد

(١) تحف العقول .

جلت الاخرة في اعينهم حتى مايريدون بها بدلا

يا ابن جندب : حق على كل مسلم يعرفنا ان يعرض عمله في كل يوم وليلة على نفسه فيكون محاسب نفسه ،فان رأى حسنة استزاد منها وان رأى سيئة استغفر منها لئلا يخزى يوم القيامة ،طوبى لعبد لم يغبط الخاطئين على ما ارتوا من نعيم الدنيا وزهرتها . طوبى لعبد طلب الاخرة وسعى لها ،طوبى لمن لم تلهه الاماني الكاذبة ..

ثم قال ((عليه السلام)) : رحم الله قوما كانوا سراجا ومنارا ،كانوا دعاة الينا باعمالهم ومجهود طاقتهم ،ليس كمن يذيع اسرارنا ..

يا ابن جندب : انما المؤمنون الذين يخافون الله ويشفقون ان يسلبوا ما اعطوا من الهدى، فاذا ذكروا الله ونعماءه وجلوا واشفقوا وذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا مما اظهره من نفاذ قدرته ،وعلى ربهم يتوكلون .

يا ابن جندب :

يهلك المتكل على عمله . ولا ينجو المجترئ على الذنوب ، الواثق برحمة الله ..

قلت : فمن ينجو ؟

قال : الذين هم بين الرجاء والخوف ،كأن

قلوبهم في مخلب طائر شوقا الى الثواب ،وخوفا من العذاب ..

يا ابن جندب :

من سره ان يزوجه الله الحور العين ،ويتوجه بالنور ،فليدخل على اخيه المؤمن السرور .

يا ابن جندب :

اقل النوم بالليل والكلام بالنهار . فما في الجسد شيء اقل شكرا من العين واللسان ،فان ام سليمان قالت لسليمان ((عليه السلام)) : يابني اياك والنوم فانه يفقرك يوم تحتاج الناس الى اعمالهم ..

يا ابن جندب :

ان للشيطان مصائد يصطاد بها فتحاموا شباكه ومصائده !

يا ابن جندب :

من اصبح مهموما لسوى فكاك رقبته فقدهون عليه الجليل ورغب من ربه في الربح الحقير . ومن غشّ اخاه وحقره وناواه جعل الله النار مأواه ،ومن حسد مؤمنا انماث الايمان في قلبه كما ينماث الملح في الماء .

يا ابن جندب :

الماشي في حاجة اخيه كالساعي بين الصفا

والمروة ،وقاضي حاجته كالمتشحط بدمه في سبيل الله يوم ((بدر))و((واحد)) وما عذب الله امة الا عند استهانتهم بحقوق فقراء اخوانهم .

يا ابن جندب :

بلغ معاشر شيعتنا وقل لهم : لاتذهبن بكم المذاهب فو الله لا تنال ولا يتقا الا بالورع والاجتهاد في الدنيا ومواساة الاخوان في الله ،وليس من شيعتنا من يظلم الناس .

يا ابن جندب :

انما شيعتنا يعرفون بخصال شتى :بالسخاء والبذل للاخوان ،وبأن يصلوا الخمسين ليلا ونهارا ..

يا ابن جندب :

كل الذنوب مغفورة سوى عقوق اهل دعوتك ،وكل البر مقبول الا ما كان رئاءا ..

يا ابن جندب :

ان احببت ان تجاور الجليل في داره وتسكن الفردوس في جواره فلتهن عليك الدنيا ،واجعل الموت نصب عينك ،ولا تدخر شيئا لغد . واعلم ان لك ماقدمت وعليك ما اخرت ..

صبر نفسك عند كل بلية في ولد او مال اورزية ،فانما يقبض عاريته ،ويأخذ هبته ليبلو

فيها صبرك وشكرك ..

وارج الله رجاءا لايجريك على معصيته وخفه خوفا لايؤيسك من رحمته ..

ولا تغتر بقول الجاهل ولا بمدحه فتكبر وتجبر وتعجب بعملك ،فان افضل العمل العبادة والتواضع ..

يا ابن جندب :

لاتتصدق على اعين الناس ليزكوك ،فانك ان فعلت ذلك فقد استوفيت اجرك ، ولكن اذا اعطيت بيمينك فلا تطلع عليها شمالك ،فان الذي تتصدق له سرا يجزيك علانية على رؤس الاشهاد في اليوم الذي لايضرك ان لايطلع الناس على صدقتك ..

يا ابن جندب :

الخير كله امامك ،وان الشر كله امامك ولن ترى الخير والشر الا بعد الاخرة ،لان الله جل وعز جعل الخير كله في الجنة والشر كله في النار ،لانهما الباقيان ،والواجب على من وهب الله له الهدى وأكرمه بالايمان ،وألهمه رشده وركب فيه عقلا يتعرف به نعمه ،وآتاه علما وحكما يدبر به امر دينه ودنياه ،ان يوجب على نفسه ان يشكر الله ولا يكفره ،وان يذكر الله ولا ينساه ،وان يطيع الله ولا يعصيه ..

اما انه لو وقعت الواقعة ،وقامت القيامة ،وجاءت الطامة ونصب الجبار الموازين لفصل القضاء وبرز الخلائق ليوم الحساب ،ايقنت عند ذلك لمن تكون الرفعة والكرامة ،وبمن تحل الحسرة والندامة فاعمل اليوم في الدنيا بما ترجوبه الفوز في الاخرة ..

يا ابن جندب :

قال الله جل وعز في بعض ما اوحى : ((انما اقبل الصلاة ممن يتواضع لعظمتي ،ويكف نفسه عن الشهوات من أجلي ،ويقطع نهاره بذكري ولا يتعظم على خلقي ،ويطعم الجائع ،ويكسو العاري ،ويرحم المصاب ،ويؤوي الغريب ،فذلك يشرق نوره مثل الشمس ،اجعل له في الظلمة نورا ،وفي الجهالة حلما ،اكلأه بعزتي واستحفظه ملائكتي ،يدعوني فالبيه ،ويسألني فاعطيه ،فمثل ذلك العبد عندي كمثل جنات الفردوس لا يسبق اثمارها ،ولا تتغير عن حالها ..(١)

من وصايا الامام موسى الكاظم(ع):

ما أروع هذه الوصية التي ادلى بها الامام

(١) تحف العقول

الكاظم ((عليه السلام)) لتلميذه الجليل هشام بن الحكم البغدادي ،انها تحتوي على درر ثمينة من المعرفة ،وتقدم للانسان افضل الـــــــــــروى والتوجيهات فلنتتلمذ على بعض المقاطع مـــــن هذه الوصية العظيمـــــة :

يا هشام :

لكل شيء دليل ،ودليل العاقل التفكر ..

يا هشام :

لو كان في يدك جوزة ،وقال الناس في يدك لؤلوة ماكان ينفعك وانت تعلم انها جوزة . ولو كـــان في يدك لؤلوة وقال الناس : انها جوزة ماضـــــرك وانت تعلم انها لؤلوة ..

يا هشام :

ان لله على الناس حجتين : حجة ظاهرة وحجة باطنة ،فاما الظاهرة فالرسل والانبياء والائمة ،واما الباطنة فالعقول .

يا هشام :

قليل العمل من العاقل مقبول مضاعف ،وكثيـــر العمل من اهل الهوى والجهل مردود .

يا هشام :

ان العاقل رضي بالدون من الدنيا مع الحكمة ،ولم يرض بالدون من الحكمة مع الدنيا ،فلذلك

ربحت تجارتهـــــم ..

يا هشام :

ان كان يغنيك مايكفيك فادنى ما في الدنيا يكفيك ،وان كان لايغنيك مايكفيك فليس شي من الدنيا يغنيـــــك ..

يا هشـــام :

ان العقلاء تركوا فضول الدنيا فكيف الذنوب وترك الدنيا من الفضل وترك الذنوب مـــــن الفـــــرض ..

يا هشام :

ان العقلاء زهدوا في الدنيا ،ورغبوا فـــي الاخرة ،لانهم علموا ان الدنيا طالبة ومطلوبة والاخرة طالبة ومطلوبة ،فمن طلب الاخرة طلبتـــه الدنيا حتى تستوفي منها رزقه . ومن طلب الدنيا طلبته الاخرة فيأتيه الموت فيفسد عليه دنيـــاه وآخـــرتـــه ..

يا هشام :

ان اللـه جل وعز حكى عن قوم صالحين انهـــم قالوا : ((ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب)) حيـن علموا ان القلوب تزيغ وتعود الى عماها وردائها .

يا هشام :

لادين لمن لامروة له ،ولا مروة لمن لا عقل له ،وان اعظم الناس قدرا الذي لايرى للدنيا لنفسه خطرا ،اما ان ابدانكم ليس لها ثمن الا الجنة فلا تبيعوها بغيرها ..

يا هشام :

ان العاقل لا يحدث من يخاف تكذيبه ،ولا يسأل من يخاف منعه ،ولا يعد مالايقدر عليه ولا يرجو ما يعنف برجائه ،ولا يتقدم على ما يخاف العجز عنه ..

يا هشام :

رحم الله من استحيا من الله حق الحياء ،فحفظ الرأس وما حوى ،والبطن وما وعى ،وذكر الموت والبلى ،وعلم ان الجنة محفوفة بالمكاره ، والنار محفوفة بالشهوات ..

يا هشام :

من كف نفسه عن اعراض الناس اقاله الله عثرته يوم القيامة ومن كف غضبه عن الناس كف الله عنه غضبه يوم القيامه ..

يا هشام :

ان العاقل لا يكذب وان كان فيه هواه .

يا هشام :

اصلح ايامك ،الذي هو امامك ،فانظر اي يوم هو واعد له الجواب ،فانك موقوف ومسئول ،وخذ موعظتك من الدهر واهله ،فان الدهر طويلة قصيرة ،فاعمل كانك ترى ثواب عملك لتكون اطمع في ذلك ،واعقل عن الله وانظر في تصرف الدهر واحواله ،فان ماهوآت من الدنيا ،كما ولى منها ،فاعتبر بها ..

وقال علي ابن الحسين ((عليهما السلام)) : ان جميع ماطلعت عليه الشمس في مشارق الله ومغاربها بحرها وبرها وسهلها وجبلها عند ولي من اولياء الله واهل المعرفة بحق الله كفيء الظلال ..

ثم قال ((عليه السلام)) : ألاحرّ يدع هذه اللماظة لاهلها-يعني الدنيا - فليس لانفسكم ثمن الا الجنة فلا تبيعوها بغيرها ،فانه من رضي من الله بالدنيا فقد رضي بالخسيس)) ..

يا هشام :

ان كل الناس يبصر النجوم ،ولكم لايهتدي بها الا من يعرف مجاريها ومنازلها . وكذلك انتم تدرسون الحكمة ،ولكن لايهتدي بها منكم الا من عمل بها .

يا هشام :

ان كل نعمة عجزت عن شكرها بمنزلة سيئة تؤاخذ بهـــــا ..

يا هشام :

بئس العبد عبد يكون ذاوجهين وذا لسانيـــــن ،يطري اخاه اذا شاهده ،ويأكله اذا غاب عنـــه ، ان اعطي حسده وان ابتلي خذله ..

يا هشام :

لايكون الرجل مؤمنا حتى يكون خائفا راجيـــا ولا يكون خائفا راجيا حتى يكون عاملا لما يخـاف ويرجـــــو ..

يا هشام :

ان مثل الدنيا مثل الحية مسّهاليّن وفـــــي جوفها السم القاتل ،يحذرها الرجال ذووا العقول ويهـوي اليها الصبيان بايديهـــــم ..

يا هشام

اصبرعلى طاعة الله ،واصبر عن معاصي اللـــــه . فانما الدنيا ساعة فما مضى منها فليس تجد له سرورا ولا حزنا . وما لم يأت منها فليس تعرفـه ،فاصبر على تلك الساعة التي انت فيها فكأنـــك قد اغتبطـــــت ..

يا هشام :

مثل الدنيا مثل ماء البحر كلما شرب منـــه

العطشان ازداد عطشا حتى يقتله .

يا هشام :

اياك والكبر ،فانه لايدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر . الكبر رداء الله فمن نازعه رداءه اكبه الله في النار على وجهه ..

يا هشام :

قال رسول الله (ص) : اذا رايتم المؤمن صموتا فادنوا منه ،فانه يلقي الحكمة . والمؤمن قليل الكلام كثير العمل والمنافق كثير الكلام قليل العمل ..

يا هشام :

اوحى الله تعالى الى داود ((عليه السلام)) : قل لعبادي : لايجعلوا بيني وبينهم عالما مفتونا بالدنيا فيصدهم عن ذكري وعن طريق محبتي ومناجاتي ،اولئك قطاع الطريق من عبادي ،ان ادنى ماانا صانع بهم ان انزع حلاوة محبتي ومناجاتي من قلوبهم ..

يا هشام :

اوحى الله تعالى الى داود ((عليه السلام)) : ياداود حذر فانذر اصحابك عن حب الشهوات ،فان المعلقة قلوبهم بشهوات الدنيا قلوبهم

محجوبة عني ..

يا هشام :

اياك والكبر على اوليائي والاستطالة بعلمك فيتمعتك الله ،فلا تنفعك بعد مقته دنياك ولا اخرتك . وكن في الدنيا كساكن دار ليست له ،انما ينتظر الرحيل ..

يا هشام :

مجالسة اهل الدين شرف الدنيا والاخرة . ومشاورة العاقل الناصح يمن وبركة ورشد وتوفيق من الله . فاذا اشار عليك العاقل الناصح فاياك والخلاف فان في ذلك العطب .

واذا مر بك امران لاتدري ايهما خير واصوب ،فانظر أيها اقرب الى هواك فخالفه ،فان كثير الصواب في مخالفة هواك ..

يا هشام :

من احب الدنيا ذهب خوف الاخرة من قلبه ، وما اوتي عبد علما فازداد للدنيا حبا الا ازداد من الله بعدا وازداد الله عليه غضبا .. (١)

---

(١) تحف العقول

وختامـــــا :

نسأل الله ان يأخذ بايدينا علـــــــــى صراطه المستقيم وان يوفقنا لتجاوز مـــــوارد السقوط والانحراف وان يعيننا على الالتـــــزام بتوجيهات ائمة الهـــــــدى ..

وان يقر اعيننا بزوال كوابيس الطغيـــــان الجاثمة على شعوب امتنا وقيام دولة الاســـلام العالمية المرتقبة ..

" اللهم انا نرغب اليك في دولة كريمـــــة تعز بها الاسلام واهله وتذل بها النفاق واهلـــه وتجعلنا فيها من الدعاة الى طاعتك والقـــادة الى سبيلك وترزقنا بها كرامة الدنيا والاخرة ".

حسن الصفار الجزيرة العربية

/ القطيف ..

١٥/ جمادى الاول / ١٤٠١ هـ .

صدر من السلسلـــــــة :-

١ ـ مسئولية الشبـــــــاب .
٢ ـ خطـــــــر السقـــــــوط .
٣ ـ المرأة مسئوليـــة وموقـــــف .
٤ ـ رمضـــان برنـــامج رســـالي .
٥ ـ رمضـــان وقضـــايا الثـــــورة .